Batman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi Hakemli Dergisi

Batman University
Refereed Journal of Islamic Sciences Faculty

Yıl 2017, Cilt 1, Sayı 2

Year 2017, Volume 1, Issue 2

من بلاغة كلام رب العالمين في حديثه عن لغة القرآن الكريم

ARAP DİLİ İLE İLGİLİ BAZI ÂYETLERİN BELÂGAT AÇISINDAN İNCELENMESİ

Ahmed Badr Salem MAHMOUD

محاضر، جامعة باطمان كلية العلوم الإسلامية.

Şahin ŞİMŞEK

محاضر، جامعة باطمان كلية العلوم الإسلامية :sahinsimsek21@gmail.com

Geliş Tarihi/Received:	Kabul Tarihi/Accepted:	e-Yayım/e-Printed:
11.11.2017	11.11.2017	29.12.2017

ÖZ

"Arap dili ile ilgili bazı Ayetlerin belâgat açısından incelenmesi" başlıklı çalışmamızda, ilgili ayetlerin belâgatı üzerinde durduk. Tefsîr âlimlerinin ve edebiyatçıların görüşlerinden yararlanıp, ayetlerin siyak ve sibaklarını da dikkate alarak söz konusu ayetlerin, lafız ve üslup açısından ne derece mükemmel olduklarını ortaya koymaya çalıştık. Ayetleri betimsel-analitik yöntemle inceledik. Öncelikle, her ayeti tek tek ele alarak, ayetlerdeki edebî incelikleri açıkladık. Son olarak da ayetler arasındaki ortak noktaları belirtmeye çalıştık.

Anahtar Kelimeler: Arap dili, Ayetler, Belâgat.

الملخص

فهذا بحث بعنوان (**من بلاغة كلام رب العالمين في حديثه عن لغة القرآن الكريم**) وفي هذا البحث حاولنا جاهدا التركيز على بلاغة هذه الآيات وكيف كانت الألفاظ والأساليب في قمة البلاغة وغاية البراعة مستعينين على ذلك بأقوال علماء التفسير، وبعلماء اللغة من أهل الأدب والبلاغة، و مستعينين في ذلك أيضا بأسباب النزول وسوابق الآيات ولواحقها. وتناولنا تلكم الآيات بالدراسة وفقا للمنهج الوصفي التحليلي؛ حيث قمنا بتحليل كل آية على حِدَة تحليلا بلاغيا كاشفا عن مواطن الجمال في الآيات الكريمات و في ختام البحث حاولنا الربط بين الآيات.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الآيات، البلاغة.

مقدمة

فإنَّ اللغة العربية لغة القرآن الكريم كلام رب العالمين تلكم اللغة التي اختارها الله عزَ وجل دون سائر اللغات وِعاءً لكتابه الخَاتَم الذي أنزله الله على نبيه ﷺ (تِبْيَاناً لِكُل شيء)[1]. فهي لغةٌ محفوظة بحفظ الله لكتابه العزيز، لغة محفوظة بعنايته مكلوئة برعايته فشرفُها مِنْ شرف كلام الله عزَوجل.

ولما كانت لغة القرآن بهذه المكانة العظيمة والشرف الجليل وجدنا سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يحثُّون على التمسك بها، فقد أورد البيهقي في شُعب الإيمان قولاً لسيدنا عمر ﷺ حيث قال: (تعلموا العربية فإنها من دينكم)[2]. بل لقد أوجب العلماء تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وأقوالهم في هذا كثيرة يضيق المقام عن ذكرها فمن ذلك ما ذكره الإمام الشافعي ﷺ في الرسالة حيث قال ﷺ: (فعلى كُلِّ مسلم أن يتعلم مِنْ لسان العرب ما بَلَغَه جَهده حتى يشهد به أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ مُحَّداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكرِ فيما افتُرِض عليه).[3]

فلمَّا كانت اللغة العربية وسيلة لفهم كتاب الله وسنة نبيهﷺ كان تعلمها واجباً شرعياً لأنه مالايتم الواجب إلاَّ به فهو واجب.

ولله در شاعر النيل حين يقول على لسان اللغة العربية:

وَسِعْتُ كتابَ الله لَفْظاً وغَايَةً وماضِقْتُ عَنْ آيٍ به وعِظَاتِ

أنَا البَحْرُ في أحشائِه الدُرُّ كامِنٌ فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتِي[4]

ومن ثم عكف سلفنا الصالح وعلمائنا الأجلاء على دراستها من نحوها وصرفها وأصواتها وآدابها وبلاغتها، فأخرجوا لنا من بحرها لآلئ ودُرراً كانت خير معين لفهم كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيهﷺ، واستنباط الأحكام الفقهية.

ولما كانت لهذه اللغة هذه المكانة السامقة والمنزلة الرفيعة أَحْبَبْنا في هذا البحث أنْ نغرف من معينها العذب ومنبعها الرائق فكان ذلك البحث الذي بعنوان (من بلاغة كلام رب العالمين في حديثه عن لغة القرآن الكريم).

أما عن منهج البحث فقد بدأنا بمقدمة وأتبعناها بتسعة مباحث ثم الخاتمة وفهرس بالموضوعات وقائمة بالمصادر والمراجع، واتبعنا في الدراسة المنهج التحليلي وكان تطبيقه على النحو التالي:

أولاً: جمعنا آيات الله عزَ وجل التي ذكرها الله عزّ وجل فيها اللغة العربية صراحة[5].

ثانياً: حللنا كل آية على حِدة تحليلاً بلاغياً مستعينين على ذلك بإضاءات علماء التفسير ﷺ، وبما فتح الله علينا من كرمه. محاولين الربط بين الآية وسابقتها ولاحقتها ومقامها وخصوصية الإختيار لكلمات وحروف مضيئة. ونسأل الله التيسير إذْ لاتيسير إلاَّ بعونه ولاعون إلاَ بكرمه، ونسأل الله عزَ وجل السداد والتوفيق.

1. الآيات القرآنية التي ذكرها الله عزوجل عن اللغة العربية:

– (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[6].

---

[1] – القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (89).

[2] – كتاب شعب الإيمان لأبي بكر حسين البيهقي، ج3، ص210، مكتبة الروضة بالهند، الطبعة الأولى (1423هجري، 2002 ميلادي).

[3] - انظر الرسالة للإمام الحجّة مُحَّد بن ادريس الشافعي (ﷺ) المتوفي (204هجري) ج1، ص34، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، (1958 هجري، 1940ميلادي).

[4] – من قصيدة من بحر الطويل لشاعر النيل حافظ إبراهيم، ومطلع القصيدة (رجعت لنفسي فاتَهْمتُ حَصَاتِي ونَاديتُ قومي فاحتَبَسْتُ مماتِي)
ينظر ديوان حافظ إبراهيم ج1 ص 66 دار الغد.

[5] – هيَ تسع آيات.

[6] – سورة يوسف: الآية (2).

– (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين)[7].

– (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)[8].

– (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِين)[9].

– (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون)[10].

– (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُون)[11].

– (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَومَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير)[12].

– (إِنَّا جَعلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[13].

– (وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِين)[14].

١. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة يوسف.

في قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[15].

وقبل التعرض لهذه الآية الكريمة وأخواتها من الآيات التسع التي ذُكرت فيها اللغة العربية يجدر بنا أن نُنَبِّه على أهمية معرفة المقام الذي نزلت فيه الآيات وهو ما يسميه أهل التفسير بأسباب النزول ويسميه أهل البلاغة بالمقام، فقانون أهل البلاغة الأول لِمعرفة بلاغة الكلام قولهم: لكل مَقام مَقالٍ. أي إنَّ مايصلح في مكان من قول لا يصلح غيره في نفس المكان، أمَّا بالنسبة لكلام الناس من شعر أو نثر أو غيره فقد يأتي كلامهم موافقاً للمقام فيكون بذلك قد أصاب كَبِد البلاغة لمراعاته للمقام، وقد يأتي غير مطابق للمقام فيكون الكلام قد خرج عن حدود البلاغة، هذا في كلام البشر وبلاغتهم، أمَّا في كلام الله عزوجل فهو بليغٌ بل هو أبلغ كلام ومن ثَمَّ فكل حرف فيه لايصح أنْ يوضع محله حرف آخر؛ لأنه (تنزيل من حكيم حميد)[16].

فكلام الله هو أعلى درجة في البلاغة، وبلاغته حتمية، قطعية، لاظنية. فهو مطابق للمقام ومقتضى الحال حتماً، والباحث في كلام الله عز وجل يحاول أن يغوص على هذه الدرر التي في كلامه عز وجل لينال منها ماقسمه الله له، إلاّ أنه لايطمع أبداً في ان يدركها كلها وأنَّى له ذلك، فالقرآن الكريم لاتنقضي عجائبه، فكل باحث سيأخذ منه نصيباً بقدر ما فتح الله له وسيأتي باحثون أخَر فيفتح الله لهم مالَم يفتح على سابقهم وهكذا.

فإذا ماقَصُر فهم باحث عن فهم مراد الله وحكمته من اصطفاء بعض الألفاظ والأساليب على بعض أو قَصُر فهمه عن إدراك علاقة الآيات بما قبلها وما بعدها وبمقام السورة فاعلم أنَّ ذلك ماهو إلاَّ تقصير من الباحث وعدم فتح من علاّم الغيوب، يقول الله تعالى: (مايَفْتَحِ اللهُ للناسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لها وَمَا يُمْسِك فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِه إلاَ هُو وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمْ)[17]. وأيّ رحمة أعظم من أنْ يفتح الله لك باباً من أبواب العلم والفهم في كتابه العظيم.

وعَوْدٌ على بدْء نبدأ بحول الله في تحليل قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، قوله تعالى: (إنّا انْزَلنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلكُمْ تَعْقِلُون).

---

[7]– سورة النحل: الآية (103).

[8]– سورة طه: الآية (113).

[9]– سورة الشعراء: الآية (193).

[10]– سورة الزمر: الآية (28).

[11]– سورة فصلت: الآية (3).

[12]– سورة الشورى: الآية (7).

[13]– سورة الزخرف: الآية (3).

[14]– سورة الأحقاف: الآية (12).

[15]– سورة يوسف: الآية (1).

[16]– سورة فصلت: الآية (42).

[17]– سورة فاطر: الآية (2).

وعند التمعن في هذه الآية الكريمة نجد أنها وردت في افتتاح سورة يوسف، وسورة يوسف مكية تحكي قصة نبي الله يوسف، وكيف كان اعتصامه بالله تعالى سبباً في عصمته من الرزيلة، و كيف كانت عاقبته في النهاية من حسن العاقبة والنصر والتمكين (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ويَصْبِر فإِنَّ الله لَاّ يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنين)[18].

وَكَأَنَّ الله عزوجل بقوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المبِين إِنّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)

كأنه يقول لعباده إنَّ مَنْ يَتَمسك بهذا الكتاب المبين ويتعقل آياته العربية البينات ويعتصم به فإنه النجاة والنُصرة والتمكين كما حصل لنبي الله يوسف حين تمسك واعتصم بالله فكان عاقبة أمره يُسرا. إذن المناسبة واضحة لورود هذه الآية في سورة يوسف عليه السلام. ومِنْ ثَمَّ فإن مقام ورود هذه الآية في هذه السورة يأتي على رأس البلاغة وذروة سنامها، لأنه مطابق لمقام السورة.

ولنبدأ مع دُرر هذه الآية الكريمة المباركة.

نجدها بدأت بقوله تعالى: (إِنَّا) فلماذا اصطفى الله عزوجل لفظة (إِنَّا) هنا دون غيرها، فكان من الممكن في غير القرآن الكريم أن يُقال: أنْزلناه قرآناً....ألخ، بدون لفظة (إِنَّا) ويصح المعنى، ولكن اصطفاء (إِنَّا) للتنبيه على أنه من عند الله عزوجل، فالتوكيد بإنَّ في هذه المقام قبل ذكر قصة يوسف التي طلب الكفار سماعها من النبيﷺ اختباراً له إنَّ القرآن من عند مُحَمَّدﷺ، فجاء الكلام بلفظ (أنزلناه) في سورة يوسف في حين عُبِّر بلفظ (جَعلناه) في سورة الزخرف في قوله تعالى: (إِنَّا جَعلنَاهُ قُرْآنَاً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[19]؛ وذلك لأنَّ آية سورة يوسف كانت توطئة لذكر قصته عليه السلام التي لم يكن يعرفها العرب وكان يظنُّ أهل الكتاب أنهم اختُصوا بعلمه فكانت هذه السورة موفية لقصته العجيبة، فقوله: (أنْزلناه) ليَعْلم العرب والجميع أنَّ نبينا مُحَمَّدﷺ لم يتلق هذه القصص من أحد من العرب؛ لأنهم كانوا يجهلون قصة يوسف عليه السلام فهو كلام أنزل من الله عز وجل.

أمَّا سورة الزخرف فلم تتعرض للإخبار عن قصص السابقين، بل أعقبت الآية التي معنا بآيات فيها حديث عن الإعتبار والتلطف في التنبيه ومن ثَمَّ ناسب لفظ (جَعَل) التي بمعنى التصيير، فالمراد جَعْل التصيير أي تصيير الكتاب مُفَسّراً وهدى ونوراً [20].

فمقام سورة يوسف استوجب لفظة (أنزل) ومقام سورة الزخرف استوجب لفظة (جعل) فسبحان من هذا كلامه.

وفي مجيء صيغة الحال (قرآنا) وهي مصدر بمعنى المفعول إشارة إلى أنَّ الأصل في القرآن القِراءة وإشارة إلى أنه أهم مقروء، كما أن التعبير بصيغة المصدر–والمصدر من الأسماء–للدلالة على الدوام والإستمرار، فالقرآن يَجِب أن يُداوم المرء على تعاهده وقراءته.

والتعبير بالوصف (عَرَبياً) للدلالة على أنه من جنس ما يتكلمون به ويعرفونه ومن ثم كان الإعجاز أي أن هذا الكلام من جنس ما تتكلمون به ولذلك افتتح الله السورة بقوله (الر) أي أنه كلامٌ أنزله الله لكم بلغتكم وفْق حروفكم التي تتكلمون بها، وتحداكم الله به وأنتم أهل البيان والفصاحة فعجزتم عن أن تأتوا بآية من مثله، فذلك قمة التحدي في أن يكون التحدي في أكثر شيء أنت ماهر به ومتقن له وتتفاخر بأنك بارزٌ فيه، فسبحان من تحدى العرب بعربيتهم وعجزوا عمَّا برزوا فيه.

وتذييل الآية بقوله (لعلّكم تعقلون) لعدَّة أمور:

فنجد لام التأكيد في (لعلَ) لتأكيد الكلام ثم اختيار لفظ الترجي هنا (لعلّ) على سبيل المجاز؛ لأن لعلّ إنما تكون للترجي وإنما استُعمِلت هنا على سبيل الإستعارة حيث شبه التمني بالترجي بجامع الحرص على هدايتهم في كل على سبيل الإستعارة التبعية في الحرف، وفائدة هذه الإستعارة بيان عِظم لطف الله عز وجل بهم، فكأنه عزوجل مع عنادهم وكفرهم يرجوا إيمانهم (إنّ الله بالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ)[21].

---

[18] – سورة يوسف: الآية (90).

[19] – سورة الزخرف، الآية (3).

[20] –ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من اللفظ في آي التنزيل/لأحمد إبراهيم الغِرناطي المتوفي (708 هجري)، بتصرف، ج2، ص266، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

[21] – سورة البقرة، الآية (143).

أمّا ختم الآية بلفظ (تعقلون) دون غيرها مثل تعلمون تفقهون.....ألخ؛ فذلك لفائدة بديعة، وذلك أنَّ العقل ((هو العلم الذي يزجر عن القبائح.....فالعقل يمنع صاحبه من الوقوع في القبح وهو من قوله عَقَلَ البعير إذا شده فمنعه أن يثور)) [22].

فكأنَّ الله يقول لهم إنّه أنزل عليهم كتابه مفرداً بلغة العرب لكي ينزجروا عن فعل القبائح من الشرك والتكذيب، فإذا ما عقلوه آمنو به فلفظ العقل أنسب الألفاظ في هذ المكان، فسبحان مَنْ هذا كلامه.

ب. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة النحل.

في قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمَهُ بَشَرٌ لِسَان الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين)[23].

مناسبة الآية لما قبلها ومابعدها من الآيات.

الآيتان السابقتان على هذه الآية حِجاج من الكفار يتعلق بالقرآن الكريم، قال تعالى: (وإذا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ والله أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُون)[24]. ثم تأتي هذه الآية التي معنا كدليل قاطع لهذا اللغط والغلط الذي يقع من الكافرين وتأتي الآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى(إِنَّ الذين لايُؤْمِنُون بِآيَاتِ الله لاَ يَهْدِيهِم الله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم)[25]. فالخيط ممدود بين وقوع هذه الآية مع صويحباتها من الآيات.

وهذه الآية لها مناسبة خاصة نزلت فيها أي ما يسميه البلاغيون مقامٌ خاص، وذلك المقام ((أنه كان غلامان نصرانيان من أهل عين التمر، اسم أحدهما يَسَار والآخر جبْر وكانا [حَيْقَّلين] يقرآن كُتباً بلسانهما وكان رسول اللهﷺ يَمُرُّ بهما فيسمع قراءتهما فكان المشركون يقولون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى فكذبهم[26] حيث قال:(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين))[27].

إذاً المقام مقام تشكيك في أنَّ القرآن ليس من عند الله وأنَّ النبيﷺ افتراه ويأخذه من غيره فكانت الآية قطعاً للألسنة. وطالما أنَّ المقام مقام افتراء من الكافرين فلابد وأنْ يأتي الردُّ شديد اللهجة موثقاً بالحجة مؤكداً بالمؤكدات ومنْ ثُمَّ بدأت الآية بواو القسم ثم (قد) التحقيقية ثُمَّ إسناد علم ما قالوا إلى الله الذي يعلم السر وأخفى، ثُمَّ اصطفاء الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث (يقولون) للدلالة على أنّ قولهم يتجدد فهو قولٌ يلوكونه بألسنتهم. واستخدام أسلوب القصر (إِنَّمَا يُعَلِّمَهُ بَشَرٌ) فيه إشارة إلى خلو جُعبة الكفار من الحجج، فقالوا شاعر فما وجدوه كالشعر فبطل زعمهم بالشاعرية، وقالوا كاهن فما وجدوه كسجع الكهان فبطل زعمهم بالكهانة....ألخ، فقالوا إذاً هو من كلام هاذين الغلامين النصرانيين وقصروه على ذلك كحجة أخيرة لهم، فقصروا القرآن على أنّه مُعلمٌ من البشر، فكان الرد المنطقي المفحم لهولاء الأغبياء بأنّ لغة ولسان من ينسبون إلى النبي نقل القرآن عنه أعجمي وغير عربي، أما القرآن الكريم فعربي، وفي التعبير باسم الإشارة الدال على القريب وهذه دلالة على قُرب القرآن، وكونه في متناول هؤلاء المعاندين فلا حجة لهم في إنكارهم. وتنكير لفظ (لسان) ولفظ (عربي) للتعظيم والتفخيم، فهذا لسان وهذه لغة فصيحة جاءت (باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بياناً واضحاً ظاهراً قاطعاً للمدد مقيماً للحُجَّة دليلاً على المحَجَّة).[28]

ج. حديث القرآن عن اللغة العربية في سورة (طه).

---

[22] – ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت 395 هجرية) باختصار ص83، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

[23] – سورة النحل، الآية (103).

[24] – سورة النحل، الآيتان (101،102).

[25] – سورة النحل، الآيات (104،105).

[26] – ينظر أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت468) تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:1411 هجري.

[27] – سورة النحل، الآية (103).

[28] – تفسير ابن كثير: للإمام أبو الفداء بن كثير، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة / دار طيبة، القاهرة (1420هجري/1999ميلادي) الطبعة الأولى.

في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)[29].

مناسبة الآية للسورة وماقبلها ومابعدها من الآيات.

هذه الآية الكريمة وردت في سورة طه مفتتحة بالأحرف المقطعة (طه) وفي بداية الآيات حديث عن القرآن (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى)[30]. فالقرآن رحمة وليس عنتاً بل ذكرى وعظة لمن يخشى، ثم تتوالى الآيات في سرد قصة سيدنا موسى وغيرها من القصص والعِظات إلى قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)، إذاً الآية منسجمة مع سياق السورة وسياق الآيات تمام الإنسجام، فالآية موافقة لمقام السورة ومقام الآيات السابقة واللاحقة.

ولنبدأ مع دُرر من بلاغة هذه الآية الكريمة: فقد بدأت بقوله (وَكَذَلِكَ)، وفيه واو العطف التي عطفت على قوله تعالى (وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) [31]. ولفظة (كذلك) في قوله (وكذلك) «نعت لمصدر محذوف أي: إنزالاً مثل ذلك»[32]، ذلك تأكيد على أنَّ الإنزال من عند الله ثم تعقيبها بلفظ (أنزلناه) تأكيداً على الإنزال وفي التعبير بلفظة الإنزال خاصة، والذي يدل بدلالته اللغوية على النزول من عُلو، ثم إنّ إضافة ضمير العظمة (نا) للكلمة (أنزل) للدلالة على عُلُو المنْزِل (ﷻ) والمنَزَّل (القرآن الكريم) والمنْزَل إليه (مُحَمَّدﷺ).

ولايخفى أنّ التعبير بلفظ (قُرْآناً) للدلالة على أصل القرآن أنه مقروء محفوظ في الصدور فالمراد (المقروؤ أي: المتلُو، وصار القرآن عَلَماً بالغلبة على الوحي المنزل على مُحَمَّدﷺ بألفاظ مُعَيَّنَة مُتَعَبَّداً بتلاوتها، وسمي قرآناً؛ لأنه نُظِمَ على أسْلوب تسهل تلاوته)[33].

وفي وصف القرآن (عربياً): إلزام للمعاندين الحجة،فهو عربي من جنس حروفكم (الطاء والهاء) وغيرهما، ومع ذلك عجزتم عن الإتيان بآية من مثله، إذاً هو كلام عربي لكنه مُعْجِزٌ ليس في طاقتكم ولا مقدوركم.

ولما كان الحديث في سورة طه عن الأمم السابقة و قصصهم ناسب ذلك الحديث عن تصريف الوعيد في القرآن الكريم وتكراره لا بغرض العنت ولا المشقة وإنّما للإعتبار والعظة بما حدث للأمم السابقة حين كذبوا رسلهم وكتبهم، فكل ذلك إنّما هو حُجة على المكذبين (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)[34].

ولا يخفى مجيء (مِنْ) التبعيضية مع لفظ الوعيد الذي للجنس للدلالة على أنّ ما ذُكر في القرآن إنّما هو بعض الوعيد لا كُلَّهُ.

و ((في التعبير بحرف الترجي (لَعَلَّ) استعارة تبعية في الحرف حيث شبه شدة حرص الله عز وجل على عباده وإنزاله القرآن وأنه يقرب الناس للتقوى والتَذَكُّر بحال إنسان يرجو شيئاً)) [35]، ثم حذف المشبه وبقي المشبه به حرف الترجي (لعلَّ)، والقرينة هي استحالة الترجي على الله عزوجل وفائدة هذه الإستعارة إظهار عِظم لطف الله عزوجل بعباده وعظم حرصه على هدايتهم بكتابه بالرغم من تكذيبهم (إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيم)[36].

د. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة الشعراء.

في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِ العَالَمِين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمينُ على قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذَرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين) [37].

مناسبة الآية لآيات السورة والسورة التي قبلها.

---

[29] – سورة طه، الآية (113).

[30] – سورة طه، الآيات (3:1).

[31] – سورة طه، الآية (99).

[32] – دراسات لأسلوب القرآن الكريم: مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، ج5.ص35، تحقيق محمود شاكر، دار الحديث، مصر، بدون تاريخ.

[33] – تفسير التحرير والتنوير المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد) لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هجري) ج.ص، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984ميلادي.

[34] – سورة طه: الآية (113).

[35] – ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج16، ص315.

[36] – سورة البقرة، الآية (143).

[37] – سورة الشعراء، الآيات (195/192).

أولاً نجد السورة مكية، أي أن غرضها الرئيس ترسيخ العقيدة، ونجد أنها بدأت بالأحرف المقطعة (طسم)؛ لإظهار التحدي للمعاندين كما أنها افتتحت بحديث عن القرآن (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المبِين)[38]. فالدعوة إلى الله تحتاج إلى الإبانة، وهكذا تتوالى قصص الرسل وكيف كذبهم قومهم، فقصة سيدنا موسى الذي طلب من الله عزوجل أنْ يرسل معه هارون لأنه أفصح لساناً فقال: (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فأَرْسِلْ إلى هَارُونَ)[39].

وتتوالى قصص الأنبياء تسلية للنبيﷺ وتبييناً له أنه كُذِّب كما كُذِّب الرسل من قبله. وأيضاً فإنّ المناسبة واضحة جداً للحديث عن القرآن الكريم في هذه السورة، وعَقِبَ ذكر آيات الله ومعجزاته التي آتاها للرسل من قبله لسيدنا موسى أوتي المعجزات التي ذُكرت في السورة وأيضاً سيدنا إبراهيم وأيضاً سيدنا هود، ثم هذه الآية لبيان معجزة النبيﷺ الخالدة الباقية وهي هذا القرآن العظيم، إذاً المقام موائم لمجيء هذه الآية في هذه السورة بل وهذا المحل من السورة.

ولنبدأ مع قبسات من هذه الآيات الكريمات: فنجد أنها بدأت بالحديث عن مُنزِل القرآن اللهﷻ. ففي قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِين)[40] ((بدأت بأسلوب التوكيد (إنّ) ولام التوكيد ثم التعبير بالمصدر(تَنْزِيل) الذي بمعنى المفعول للمبالغة حتى كأنه المنَزَّل نفس التنزيل)) [41] ثم نسب التنزيل إلى الله عزوجل والتعبير بصفة الربوبية الذي يدل على الإنعام والتلطف مع عباده، فهو تنزيل ما أراد به ربنا العنت بل أراد الإنْعام واللطف بعباده ثم المضاف إليه (العالمين) لبيان أنّ ربنا عزوجل أنزله وفقاً لعلمه تعالى بالعالمين ومايصلحهم وما ينفعهم فهو خلقهم وهو أعلم بأحوالهم. ثم ((إنّ إنزاله كان بأشرف وفادة مع أشرف الملائكة (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينْ) [42] جبريل عليه السلام. ولم يصرح باسمه بل ذكر وصفه لمعنى لطيف؛ ذلك أنه جعله روحاً ((فهو كالروح الذي تبث معه الحياة؛ لأنه نجاة للخلق من باب الدين)) [43]، و((سماه أميناً لأنه مؤتمن على ما يؤديه إلى الأنبياء عليهم السلام.))[44]

ثم إنّ الإنزال كان إنزالاً خاصاً؛ حيث كان إنزالاً على القلب لا على السمع فحسب، قال تعالى: (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِين).

وكم كانت الإستعارة التبعية في قوله تعالى (عَلَى قَلْبِكَ) في غاية الدقة؛ حيث استعير حرف (على) الموضوع للاستعلاء بدلاً من حرف (إلى) التي تدل على الإنتهاء على سبيل الإستعارة التبعية في الحرف، وفائدة هذه الاستعارة البديعة بيان تمكن القرآن من النبي ﷺ بل وعلى كل من يصل لقلبه ((إذْ القلب سامعٌ له ومطيع يمتثِل ما أمرَ ربه ويتجنب مانهى عنه)) [45]. و((إنما خص القلب دون السمع؛ لأن المعاني الروحانية إنما تتنزل أولاً على الروح ثم تنتقل فيه إلى القلب لِمَا بينهما من التعلق ثم تتصعد في إلى الدماغ))[46].

وتذييل هذه الآية بقوله (لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِين) فخصَ الإنذار دون البشارة ولم يقل لتكون من المبشرين؛ لأن المقام هنا مقام عناد واستكبار من الكفار فناسب التعبير بالإنذار دون البشارة.

(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين)

---

[38] – سورة الشعراء، الآية (2).

[39] – سورة الشعراء، الآية (13).

[40] – سورة الشعراء، الآية (192).

[41] – ينظر التحرير والتنوير لإبن عاشور ج1، ص192.

[42] – ينظر مفاتيح الغيب في الكشف عن قناع الريب لفخر الدين الرازي ج3، ص53، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان، الطبعة الثالثة.

[43] – المرجع السابق من الصفحة نفسها بتصرف.

[44] –المرجع السابق من الصفحة نفسها.

[45] – حدائق الروح والريحان ج2، ص128.

[46] –ينظر تفسير انوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي المسمى بتفسير البيضاوي لناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، ج4، ص149، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1418 هجري.

وإنما ذكر الله تعالى أنه نَزَّل هذا القرآن (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) في هذا الموضع ((إعلاماً منه لمشركي قريش أنه نزل كذلك لِئلا يقولوا إنّه نزل بغير لساننا فنحن إنما نُعرض عنه ولا نسمعه لأنّا لا نفهمه؛ وإنما هو تقريع لهم[47] وذلك أنه تعالى ذكره قال: (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ))[48]

فلما كان إعراضهم عنه ناسب أنْ يبين لهم بهذه الآية أنَّ إعراضهم ليس له أساس من العقل فهو كتاب منزل من رب العالمين على أشرف الملائكة على أشرف الرسل وأعظم القلوب بأفصح الألسنة وأبينها.

هـ. حديث رب العالمين عن لغة القرآن الكريم في سورة الزمر.

في قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[49].

هذه الآية الكريمة وردت في سورة الزمر، وعند النظر لسورة الزمر نجد محورها الذي تدور حوله هو التوحيد والإخلاص، ولاشك أن القرآن الكريم هو الطريق الأوحد للتوحيد والإخلاص، ونجد هذه السورة مفتتحة بالحديث عن القرآن الكريم (تَنْزِلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ)[50]، ثم تتوالى الآيات ويأتي قبيل الآية حديث عن تأثير القرآن في النفوس في قوله تعالى: (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)[51]، ثم تأتي الآية التي معنا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا.....ألخ)، وكأنّ أساس التوحيد والإخلاص: أولاً هونزول القرآن على النبي ﷺ، ثم ثانياً تأثير هذا القرآن في النفس ثم الإتعاظ بأحوال السابقين واليقين بأن القرآن العظيم غير ذي عِوجٍ، مُنزلٌ من رب العالمين، وهكذا فإن مقام الآية مناسب لغرض السورة من الحديث عن الإخلاص والتوحيد، ومناسب للآيات السابقة واللاحقة التي تحدثت عن القرآن الكريم.

ولنبدأ في أفنان هذه الآية المباركة فنجدها بدأت بداية قوية جداً، حيث بدأت بالواو الموطئة للقسم، ثم لام القسم، ثم (قد) التي للتحقيق وذلك في قوله تعالى (وَلقدْ) ثم أعقب لفظ (وَلَقَدْ) لفظ (ضَرَبْنَا) والضرب حروفه قوية، فالضاد والراء والباء حروف مجهورة ثم معناه فيه قوة، فالضرب لا يكون إلاّمن قوي، ثم إسناد الضرب لضمير العظمة (نا) بل أعظم من في الكون وهو الله عزوجل ثم الإشارة للقرآن باسم الإشارة الذي للقريب (هذا) وفي ذلك إشارة إلى أنه قريب من نفوس المؤمنين بل وفي متناول المعاندين فليس لهم عذر في أنه بعيد عنهم لم يستطيعوا أن يعوه.

كل هذه الشدة في الآية جاءت حرصا عليهم وليس تعنتاً، ومن ثم جاء بلفظ الرجاء (لَعَلَّ) لبيان شدة الحرص على هدايتهم، ثم لفظ يتذكرون، فإذا لم يُحدث القرآن للإنسان ذكراً وفكراً فكأنه مااستفاد منه شيئاً، ثم الآية الثانية شاهدنا (قُرْآناً عَرَبِيّاً....ألخ) وفيها مافيها من التأكيد تناسب الآية سابقتها، و((جاء التأكيد من مجيء (قرآناً) حال موطئة، ثم مجيء لفظ (عربياً) حال و(غير ذي عوج) صفة أو حالاً آخر))[52]. فتتابع الحال والصفات فيه تأكيد للمعنى، ((إذْ إنّ تتابع المؤكدات تدل على عظم المؤَكد وهو أهمية القرآن العظيم، وأيضاً فإنّ في توالي المؤكدات نظر لحال الفريق الذين لم يتدبروا القرآن وطغوا وأنكروا أنه من عند الله))[53].

وفي التعبير بقوله تعالى: (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) إشارة بليغة، نبه إليها العلامة الزمخشري في تفسير الكشاف حيث قال: ((غير ذي عوج: بمعنى لايوجد فيه إعوجاج مافيه إلاّ الإستقامة لاغير))[54]، فهو مستقيم بريءٌ من التناقض والإختلاف ((فإن قلت فهلاّ قيل مستقيماً قلت فيه فائدتان: أحدهما نفي أن

---

47 – ينظر تفسير جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري، ج17، ص643.

48 – سورة الأنبياء، الآية (2).

49 – سورة الزمر، الآية (28).

50 – سورة الزمر، الآية (1).

51 – سورة الزمر، الآية (23).

52 – ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت855) هجري، ج6، ص440، بتصرف دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

53 – ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج21، ص123.

54 – ينظر الكشاف عن غوامض التنزيل للقاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538) هجري، ج3، ص558/نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1407 هجري.

يكون فيه عِوجٌ قط كما قال (ولم يجعل له عوجا) والثانية أنَّ لفظ العِوج مختص بالمعاني دون الأعيان))[55] أي إنّ الله عزوجل في هذه الآية أثبت الكمال للقرآن الكريم لفظاً لكونه قرآناً عربياً، ومعنى بقوله (غيرذي عوج) فتمّ له سلامة اللفظ والمعنى ولا غروَ في ذلك فهو كتاب (تنزيل من حكيم حميد).

و. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة (فُصِّلتْ).

في قوله تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرآنَاً عَرَبِيًّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونْ)[56].

مناسبة الآية لما قبلها.

هذه الآية الكريمة تقع في مبتدأ سورة (فصلت) وعند النظر لمقام الآية نجد أنّ سورة فصلت مكية والسور المكية تعني بجانب العقيدة والتوحيد وإفحام المعاندين، و((قصة عتبة بن ربيعة حينما جاء إلى النبي ﷺ متحدياً ومعانداً فما تكلم معه النبي إلاّ أنْ قال له: أفرغت ياابن العم، اسمع مني وتَلى عليه سورة فصلت من مبدأها حتى إذا وصل لقوله تعالى: (فإنْ أعْرَضُوا فَقُلْ أنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودْ)[57]، فقال له: ناشدت الله والرحم أنْ تسكت ثم انصرف إلى قومه يقول لهم خلُّوا بين الرجل ومايريد إلى آخر القصة))[58]. إذن نحن أمام سورة مفحمة للمعارضين، ومن ثم بدأت بالحديث عن القرآن الكريم وأنه تنزيل من الرحمن الرحيم.

ولنبدأ مع الآيات البينات في بداية السورة المباركة.

نجد أنّ السورة افتتحت بالأحرف المقطعة (حم) وأعقب ذلك حديث عن القرآن الكريم وتنزيله وعربيته وكأنّ في افتتاحها بهذه الأحرف تنبيهاً وتحدياً؛ تنبيه على أنّ هذه الحروف من جنس حروفكم، وتحدٍ على أن يأتو بمثله وكأنه يقول إن كنتم تعقلون حقاً فهذه حروفكم وما استطعتم أنْ تعارضوا هذا الكلام ولا تقدرون على مثله.

ثم مجيء لفظ (تنزيل) والنزول لايكون إلاّمن علو فهو كلام عالِ القدر من عظيم القَدْر. و((لاتخفى بلاغة التعبير بالمصدر (تنزيل) بدلاً من اسم المفعول (مُنَزَّلٌ) ومافي هذا من المجاز المرسل الذي علاقته المصدرية وفائدة ذلك المجاز إشارة بلاغية لطيفة أي أن هذه القرآن بلغ من الكمال ماجعله كأنه هو التنزيل فاستغنى عن المفعول حتى تَصَدَّر وصار مصدراً للتنزيل وكأنّ أي كلام آخر منزل والقرآن وحده هو التنزيل المتقن وفي (إضافة التنزيل إلى الرحمن الرحيم) للدلالة على أنه–أي القرآن مناط المصالح الدنيوية))[59].

((فالصفة الغالبة في هذه التنزيل صفة الرحمة.....فهو رحمة للذين آمنوا واتبعوه ورحمة كذلك لغيرهم لا مِنَ الناس وحدهم ولكن الأحياء جميعاً، فقد سنَّ منهجاً ورسم خُطة تقوم على الخير للجميع....ولم يقتصر في هذا على المؤمنين وإنما كان تأثيره عالميا ومطرِداً))[60]

وفي مجيء لفظ (تنزيل) ولفظ (كتاب) نكرة للتعظيم بالغ الأثر في الدعوة إلى الاهتمام بهذا الكتاب العظيم. واصطفاء لفظة (فُصِّلَتْ) التي بمعنى (بُيِّنَتْ) إشارة إلى أنّ القرآن الكريم استوعب علوم الأولين والآخرين فَفُصِّل فيه كل شيء فلا حاجة للبشرية بعد تفصيله إلى أي شيء فهو منهج قويم لمجتمع سليم، فُصِّل بوحي من رب العالمين، فَلَو قيل (بُيِّنَت) آياته بدلاً من (فُصِّلَت) لما أشارت إلى هذه المعاني إذْ من الممكن أن تبين الشيء ويحتاج البيان إلى بيان آخر.

---

[55] – ينظر المرجع السابق ج4، ص145.

[56] – سورة فصلت، الآية (2).

[57] – سورة فصلت، الآية (13).

[58] – ينظر القصة بطولها في كتب التفسير وإنما اختصرتها هنا كي لا يطول المقام.

[59] – ينظر تفسير البيضاوي، ج5، ص107.

[60] – ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج6، ص28.

((أما لفظة(فصلت) فتدل على البيان الشافي الكافي، وهذا التفصيل جاء (قرآناً عربياً)، لكي لا يكون لأحد حجة؛ لأنه أنزل مُبْتَدَأً على العرب؛ ولأنهم نبغوا في العربية حتى لا تكون لهم حجة .وخَتْمُ الآية الكريمة بقوله تعالى (لقوم يعلمون) الأشياء ويعقلون الدلائل وينظرون على طريق النظر فكأن القرآن فصلت آياته لهولاء؛ إذْ هم أهل الإنتفاع بها فخصوا بها تشريفاً))[61].

((قال أهل السنة: الصفات المذكورة هنا توجب شدة الإهتمام لمعرفته والوقوف على معانيه.....وكونه قرآناً عربياً ولغة العرب أفصح اللغات مما يوجب أن تتوافر عليه الرغبات ولا سيما العرب ومن داناهم))[62].

ز. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة الشورى.

في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)[63].

مناسبة الآية للسورة.

((هذه السورة تعالج قضية العقيدة كسائر السور المكية ولكنها تركز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة حتى ليصح أن يقال: إنها هي المحور الرئيسي الذي ترتبط به السورة كلها))[64]. فكما كان موضوع السورة الوحي ناسب جداً أن تأتي هذه الآية للحديث عن عربية القرآن الكريم. ولا يخفى أنّ السورة بدأت بالأحرف المقطعة (حم عسق) وهذه إشارة للتحدي كما سبق أنْ أشرت سابقاً في صدر البحث.

أمَّا عن مناسبة الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: (والذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ الله حَفِيظٌ عَلَيهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)[65]. فهذه الآية تقول للنبي ﷺ: لاتعنت نفسك بالانشغال بالمكذبين وهدايتهم فالله هو الحفيظ عليهم ولست وكيلاً بهدايتهم، ثم تأتي الآية (وكذلك....ألخ) معطوفة على هذه الآية لتؤكد أنّ إنزال القرآن للبلاغ والإنذار، أما الهداية فمِنَ الله عزوجل. يقول الله تعالى:(إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاَغ)[66]، فالآيتان مرتبطتان في السياق.

ولنبدأ مع الآية التي معنا فنجدها بدأت باسم الإشارة (كذلك) الذي فيه اللام التي تدل على البُعْد، والمراد بها هنا بُعد وعِظم منزلة القرآن الكريم، ثم التعبير بلفظ الوحي،في قوله (أوحينا) ليتناسب مع مفتتح السورة (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[67] وأيضاً فإن التعبير بالوحي مناسب للسورة كَكُل فموضوعها الأساس الحديث عن الوحي. ولا يخفى ما في مجيء ضمير العظمة (نا) مفعولاً به للوحي ومافي ذلك من إشارة واضحة لعظم الموحِي (الله عز وجل) والموحَى به (القرآن)،كما لا يخفى بلاغة مجيء ذكر النبي ﷺ (إليك) عقب ضمير العظمة لايخفى مافي ذلك من إشارة إلى عظم الموحى إليه (النبي ﷺ) ثم إعقاب ذلك بتفصيل نوع الوحي بقوله (قُرْآناً عَرَبِيّاً) فمجيء الحال بصيغة المصدر (قرآناً) بدلاً من المفعول (مقروء) فيه دلالة على أنه المقروء الكامل الذي بلغ في كماله درجة الكمال حتى لا يكون شيئاً قرآناً إلاّ هو، وكأن كل مقروء مفيد ونافع ماهو إلا تابع للقرآن الكريم حتى كأنه صار مصدراً لكل مقروء نافع.

ووصف القرآن ب(عربياً) في هذه الآية لأن المقام مقام حديث عن الوحي الذي هو ((بلسان العرب لأن الذين أُرسل إليهم النبي قوم عرب، فأوحى إليه هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا مافيه من حُجج الله وذِكرِه، لأن الله لا يرسل رسولاً إلا بلسان قومه))[68].كما لايخفى بلاغة مجيء قوله (قرآنا عربياً) نكرة وذلك للتعظيم والتفخيم،كما لا يخفى دقة التعبير بلفظ الإنذار في قوله (لِتُنْذِر)، حيث عبّر بالإنذار بدلاً من الإخبار؛ لأنّ الإخبار يكون بالخير أو

---

[61] – ينظر تفسير البيضاوي ج4، ص45.

[62] – ينظر تفسير النيسابوري لنظام الدين النيسابوري (ت850)هجري، ج1، ص48/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

[63] – سورة الشورى، الآية (7).

[64] – ينظر تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب ج1، ص303.

[65] سورة الشورى، الآية (6).

[66] – سورة الشورى، الآية (48) ومن العجيب أنّ هذه الآية أيضاً في نفس سورة الشورى، فانظر إل ترابط المعاني وبين آيات السورة، فسبحان من هذه الكلام.

[67] – سورة الشورى، الآية (3).

[68] – ينظر تفسير الطبري ج2، ص469.

الشر ويكون بالخبر الجلل وبالخبر التافه، أمّا الإنذار فيختص فهو((إخبارٌ فيه تخويف كما انّ التبشير إخبار فيه سرور))[69]. وخُص في هذه الآية ذكر الإنذار دون ذكر البشارة؛ لأنّ الآية التي قبل هذه الآية خاصة بالحديث عن المعرضين المكذبين وليس فيها حديث عن المؤمنين، فمن ثم ناسب المجيء بالإنذار فقط دون البشارة، وكم كان التعبير بلفظ (أم القرى) بدلاً من (مكة)- مع أنّ الثاني أحْصَر-أبلغ؛ لأن في التعبير بأم القرى إشارة إلى فضل مكة المكرمة ((لأن فيها البيت ومقام سيدنا إبراهيم والعرب تسمى أصل كل شيءأُما حتى يقال هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان))[70] و((لأنهاأصل كل بلدة فمنها دُحيت الأرض ولهذا المعنى يُزار ذلك الموضع من جميع نواحي الأرض))[71]. فإليها يجتمع الحجيج من كل بقاع الأرض.

وفي التعبير بلفظ (أم القرى) مجاز بالحذف لأن المعنى لتنذر أهل أم القرى، فحذف المفعول الأول للإنذار للعلم به واختصاراً وإشارة إلى عموم الإنذار.

وفي قوله تعالى (وَمَنْ حَوْلَهَا) احتراز لازم حيث وضح هذا الإحتراز عموم رسالته ﷺ، فهو أرسل لقومه خاصة وللناس عامة فالإنذار لا يقتصر على أم القرى بل يتعدى ل((قرى الأرض كلها))[72]. وفي تكرار لفظ الإنذار في قوله تعالى (وَتُنْذِرَ يَومَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيه)«[73]» ((لزيادة تهويل أمر يوم الجمع لأن تخصيصه بالذكر بعد عموم الإنذار يقتضي تهويله أي وتنذر الناس يوم الجمع))[74]. وذكر (يوم الجمع) عقب ذكر (وتنذر أم القرى) مما يسميه البلاغيون ذكر الخاص بعد العام؛ فإنذار أم القرى عامٌ في أمور الدنيا والدين والإنذار بيوم الجمع خاص في الإنذار بيوم القيامة. وفائدة ذكر الخاص بعد العام التنويه بشأن وعظم ذلك اليوم.

وكم كان بديعاً ذلك الحذف المتتابع حيث حذف المفعول الثاني للفعل الأول في قوله (لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى) أي لتنذر أم القرى العذاب، وحذف المفعول الأول من الفعل الثاني في قوله (وَتُنْذِرَ يَومَ الجَمْعِ) أي تنذر الناس يوم الجمع. حيث أكسب هذه الحذف المتتابع الكلام خفة، وجملة (لاريب فيه)جملة اعتراضية معترضة بين البيان والمبين فهي جملة تنفي الريب في وقوع يوم القيامة وهو واقع لا محالة وإنْ أرتاب فيه المرجفون والمعاندون فإنكارهم له لا يعتد به فهو والعدم سواء.

وكم كان ختم الآية بقوله تعالى (فَرِيقٌ فِي الجَنَّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير) ملائماً تمام الملائمة، فبعد كل هذا الإنذار ناسب أنْ تُختم الآية بالنتيجة النهائية لقبول الإنذار والتكذيب به، فخُتم الإنذار بإنذار. إنها النتيجة الحتمية والحقيقة الربانية.

ح. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة الزخرف.

في قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون)[75].

مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

نجد تناسباً بين سورة الزخرف والسورة التى قبلها وذلك من وجهين:

الأول: ((تشابه مطلع هذه السورة مع مطلع وخاتمة السورة المتقدمة في وصف القرآن وبيان صورة الوحي الإلهي.))[76]. ونجد تناسباً وترابطاً بين هذه الآية والآية التي قبلها والآية التي بعدها، فالآية الأولى (حم) وهي من الأحرف المقطعة وهو من تحدي الله بها للمعارضين، فالقرآن من جنس حروفهم وعجزوا عن معارضته. والآية الثانية قسمٌ من الله عزوجل بالكتاب المبين، ومعنى المبين ((أي البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ، لأنه نزل بلغة العرب التي هي

---

[69] – ينظر(المفردات في غريب القرآن) الراغب الأصفهاني، (ت502) ج1، ص481/دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

[70] – ينظر مفاتيح الغيب في الكشف عن قناع الريب، لفخر الدين الرازي ج8، ص299.

[71] – المرجع السابق من الصفحة نفسها.

[72] – ينظر معالم التنزيل في تفسير آي القرآن المسمى بتفسير البغوي لمحمد بن الحسن البغوي (ت510) ج7 ص184، تحقيق محمد عبد الله النمر/دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة (1417) هجري (1997) ميلادي.

[73] – سورة الشورى، الآية (7).

[74] – ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

[75] – سورة الزخرف، الآية (3).

[76] – ينظر التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، ج20، ص112، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية 1418هجري.

أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولذلك قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا))[77]. ثم الترابط بين القسم (والكتاب المبين) وجواب القسم (إنا جعلناه). أما الآية التالية للآية التي معنا فهي قوله تعالى: (وإنه في أم الكتاب.....ألخ) فهي معطوفة فيها حديث عن عظم القرآن عند الله عزوجل حيث جعله في أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ. كما أنّ وصف القرآن الكريم بقوله تعالى: (عَلِيٌّ) أي أنه ((في أعلى طبقات البلاغة))[78] وصف مرتبط أشد الإرتباط بعربية القرآن فهو قرآن عربيٌّ عَلِيٌّ أي في أعلى طبقات البلاغة. ومن ثمَّ وجدنا ذلك التناسب البديع بين السورة وماقبلها والآية وماقبلها ومابعدها.

أما عن قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[79]، فنجد أنّ الآية جواب للقسم في قوله تعالى (والكتاب المبين) فالمقسم به الكتاب وجواب القسم حديث عن القرآن وعربيته فهناك مناسبة بديعة بين القسم وجوابه وفي ذلك يقول العلامة الزمخشري: ((أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله قرآناً عربياً جواباً للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من وادٍ واحدٍ))[80]. كما أنَّ في مجيء الكلام بصيغة القسم تعظيم لقدر المقسم والمقسم عليه؛ لأنّ الله عزوجل لا يقسم إلا بعظيم جليل الشأن. فجعل الله أي تصييرالقرآن عربياً من عظيم المنة على عباده فالمقصود ((بوصف الكتاب بأنه عربي غرضان:أحدهما التنويه بالقرآن ومدحه بأنه منسوج على أفصح لغة. ثانيهما التورك على المعاندين من العرب حين لم يتأثروا بمعانيه كمن يسمع كلاماً بلغة غير لغته، وهذا تأكيد لما تضمنه الحرفان المقطعان المفتتحة بهما السورة من معنى التحدي بأن هذا كتاب بلغتكم وقد عجزتم عن الإتيان بمثله))[81]. وتذييل الآية الكريمة بقوله تعالى (لعلكم تعقلون) بديع،حيث استعير الحرف لعل الموضوع لمعنى الترجي لشدة لطف الله عزوجل بهم وحرصه على هدايتهم والغرض من الاستعارة بيان سعة لطف الله عزوجل بعباده حتى ولو كانوا معاندين.

كما أنّ مجيء قوله تعالى (تعقلون) ختاماً للآية للدلالة على أنّ القرآن كلام الله عزوجل يحتاج لتعقل وتفكر وتدبر، قال تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا).

فإذا لم يتعقل السامع كلام الله ويتدبره لم ينل منه شيئاً ولن يتجاوز الأسماع إلى القلوب. وفيه أيضاً إشادة وإشارة بالذين يتدبرون القرآن حق تدبره فأولئك هم من يستحقون لفظ العاقلون، أمّا غيرهم ممن طمث الله على قلوبهم ولم يتعقلوا كتاب الله فأولئك هم الجاهلون.

ط. حديث القرآن الكريم عن اللغة العربية في سورة الأحقاف.

في قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِين)[82].

مناسبة الآية للسورة وللآيات قبلها:

سورة الأحقاف مفتتحة بحديث عن القرآن الكريم، قال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) وأيضاً هي من السور التي بدأت بالأحرف المقطعة فناسب ذلك الحديث عن عربية اللغة فيها.

أمّا علاقتها بالآيات قبلها ففي الآيتين اللتين قبل هذه الآية جدال من الكفار للمؤمنين حول القرآن الكريم ونبوة النبي ﷺ (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)[83].

---

[77] –ينظر تفسير القرآن العظيم للإمام أبو الفداء بن كثير (ت774) تحقيق سامي بن محمد سلامة، ج7، ص218/ دار طيبة، (1420) هجري (1999) ميلادي.

[78] – تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس بن عجيبة، ج5، ص223، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (1423) هجري (2002) ميلادي.

[79] – سورة الزخرف، الآية (3).

[80] –ينظر تفسير الكشاف للزمخشري، ج4، ص235.

[81] – ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج25، ص159.

[82] –سورة الأحقاف، الآية (12).

[83] – سورة الأحقاف، الآية (11).

ثم استدل الله عليهم بكتاب موسى (التوراة) وانهما يخرجان من مشكاة واحدة ثم جاءت الآية التي معنا فالعلاقة وثيقة بين الآيات ومقصد السورة.

ولنبدأ مع قطوف من بلاغة هذه الآية المباركة فنجد أنها بدأت باسم الإشارة الذي للقريب (هذا) وذلك ((لمراعاة البعد الزمني بين نزول كتاب موسى والقرآن الكريم فلما ذكر التوراة أعقب بذكر القرآن مشيراً باسم الإشارة الموضوع للقريب، ثم إنه لما كان كتاب موسى كتاباً ناسب التعبير هنا عن القرآن بلفظ كتاب أيضاً من باب حسن المناسبة (اللفظية) وأيضاً للمناسبة المعنوية ، فالتوراة والقرآن (توافقا في أصول الشرائع))[84].

ولا يخفى أنَّ مجيء لفظ (كتاب) نكرة للتعظيم والتفخيم ((وفي حذف المتعلق في قوله تعالى (وهذا كتاب مصدقٌ) حيث لم يقل مصدق له أي لكتاب موسى إفادة للتعميم وإيذاناً بأنه مصدق للكتب السماوية كلها))[85].

وقوله تعالى (لساناً عربياً) أشبه مايكون بالإحتراز. فالآيات قبله تقول إنَّ القرآن مصدق لكتاب موسى في أصل الشرائع ولولا هذه الإحتراز (لساناً عربياً) لتوهم مُتوهمٌ أنه مصدق له في اللغة لا في الشرائع فقط، ولفسد المعنى، فكل رسول أُرسل بلسان قومه، فكتاب موسى بلسانه والقرآن الكريم عربي لأنه بلسان من أرسل إليهم النبي ﷺ ابتداءً. وتنكير (لساناً) و(عربياً) للتعظيم، وفي استعمال اللسان في اللغة مجاز شائع حتى صار كالحقيقة إذ اللغة والكلام أشرف وظائف اللسان فعبر بالآلة عن الكلام وهو مجاز مرسل علاقته الآلية ولكن لكثرة شيوعه صار كأنه حقيقة.

ثم تختتم الآية بعلة من علل نزول القرآن الكريم على طريق الترغيب والترهيب، فالقرآن الكريم لإنذارالظالمين ولتبشير المحسنين (لِيُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِين). وناسب الحديث عن الإنذار والبشارة معاً في هذه الآية لأن سياق الآية السابقة مجادلة بين المؤمنين والكافرين في قوله تعالى (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)[86]. فكان ختم الآية بيان عاقبة كلا الفريقين.

---

[84] – فتح القدير لمحمد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني (ت 1250) ج5، ص21، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت 1414 هجري، الأولى.

[85] – ينظر حدائق الروح والريحان في روابي القرآن لمحمد الأمين الهروي، ج27، ص38.

[86] – سورة الأحقاف، الآية (11).

الخاتمة

هذا بحث حاول فيه الباحث تحليل الآيات القرآنية التى تحدثت عن اللغة العربية وإظهار بعض من بلاغتها. و قد توصل الباحث إلى بعض النتائج منها:

1- أنّ جلّ السور التى وردت فيها الآيات التسع التى تحدثت عن اللغة العربية مفتتحة بالأحرف المقطّعة. وفي ذلك إشارة إلى التحدى إذ إنّ هذه الأحرف من جنس كلامهم الذي نبغوا فيه. فهذه الآيات التسع الواردة في الحديث عن اللغة العربية وردت في مقام التحدّى فتحداهم الله أن يأتوا بآية من مثله من جنس حروفهم ومن جنس لغتهم فما استطاعوا.

2- أن الآيات التسع التى ورد فيها الحديث عن اللغة العربية جائت هذه الآيات في سياق أسلوب التوكيد وذلك؛ لأن المقام مقام تحدٍ فناسب ذلك توالى المؤكدات في الآية.

3- أن جُلّ الآيات التسع التى تحدثت عن اللغة العربية جائت بأسلوب التعظيم فجائت بنون العظمة المنسوبة إلى الله عز وجل، وأسلوب التعظيم هنا؛ لأنّ المقام مقام حجاج مع الكافرين فناسب ذلك مجيء هذا الأسلوب هنا.

4- أنّ جميع الآيات التسع التى تحدثت عن اللغة العربية تحدثت عن القرآن الكريم بصغة (القرآن) وذلك للدلالة على أن الأصل في القرآن الكريم أن يكون مقروئا و محفوظا، وأيضا فإن ذلك فيه إظهار لتمام التحدى للعرب الذين اشتُهروا بالقرائة و الحفظ دون الكتابة فتحداهم بالمقروء دون المكتوب ليكون التحدى من جنس ما نبغوا فيه.

5- أن جميع الآيات التى ذكرت فيها اللغة العربية تحدثت عن وصف اللغة بالعربية (عربيا-عربيٌ) وذلك من كمال التحدى بأن يكون التحدى بكلام العرب ، كما إنّ إقتران لفظ العربي بالقرآن للدلالة على أن إعجاز هذا القرآن اجتمع فيه ثلاثة أوجه : الوجه الأول: أنه قرآن ومقروء، والثانى: كونه عربيّ، والثالث: أنه منزل من عند الله عز وجلّ.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أسباب النزول، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت468) تحقيق كمال بسيوني، دار العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1411) هجري.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعد البيضاوي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (1418) هجري.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد المسمى التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت1393) هجري، الدار التونسية للنشر، تونس (1984) ميلادي.

تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبي العباس بن عجيبة، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (1423) هجري (2002) ميلادي.

تفسير جامع البيان في تفسير آي القرآن، محمد بن جوبر الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420) هجري (2001) ميلادي.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء بن كثير، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر.القاهرة، (1420)هجري (1999) ميلادي.

تفسير النيسابوري، نظام الدين النيسابوري، (ت850) هجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

التفسير المنير، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية (1418) هجري.

حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، محمد الأمين الهروي.

دراسات لإسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الحديث.القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

ديوان حافظ إبراهيم، الشاعر:حافظ إبراهيم، دار الغد،القاهرة، الطبعة الثالثة (1995) ميلادي.

الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رضي الله عنه) (204) هجري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، (1308) هجري (1940) ميلادي.

فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت1250) هجري، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، (1414) هجري

الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري (ت395)، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن المسمى بتفسير البغوي، محمد بن الحين البغوي، (ت510) هجري، دار طيبة، القاهرة، الطبعة الرابعة (1417) هجري (1997) ميلادي.

مفاتيح الغيب في الكشف عن قناع الريب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1420.

الكشاف عن غوامض التنزيل، القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538) ميلادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم عم البقاعي (ت885) هجري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.